مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد (31) العدد الثاني (ديسمبر 2018)

الدَّلالَة الإيحائية للفعل ضمن النَّسَقِ القرآنيّ

ملاذ زليخة

كلية الآداب، جامعة دمشق، دمشق، سوريا

Email: mlzpresent@gmail.com

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، نحمده على عظيم مِننه، وسابغ نِعمه، حمدَ الشاكرين، ونسأله المزيد من فضله، ونصلي ونسلّم على أشرف خلقه محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته الكرام البررة، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

كلما ظنّ الدارس أن القرآن الكريم استوفى البحث من جميع جوانبه، تفتحت أمامه مساربُ بحثٍ جديدة، فكل الدراسات التي اتخذت من القرآن قطبًا تدور حوله، وتحلق في مداراته، تظل عاجزة عن الإحاطة به، ولا ريب في هذا، إذ إنه الينبوع الذي لا تنضب معارفه، والقمر الذي لا يخمد نوره، والشمس التي لا تغرب أشعتها، بل إنه أجلّ من ذلك وأرقى.

ومن كرم الرحمن على هذه اللغة المباركة أن اختارها وعاءً للقرآن، فازدادت رقيًا في الأداء ودقة في التعبير، وهيأ لها من يحفظها ويقوم على أمرها، ويعتني بعلومها، ويصنف أبوابها، فكثرت المصنفات في القرآن ولغته بلاغة وبيانًا ولغة ونحوًا وإعرابًا وتفسيرًا، لكن الملاحظ أن هذه المصنفات على كثرتها لم تتناول الدلالة الإيحائية للفعل في القرآن، بمعنى أن تلك المصنفات لم تبين للقارئ ما سِرّ استعمال هذا الفعل في القرآن دونًا عن مرادفه في المعنى، فعلى سبيل

المثال فسّر العلماء معنى كلمة (وَجِل): أي خاف، لم نقف في تلك المصنفات على دراسة أو شرح أو توضيح لاستعمال القرآن الفعل "وَجِل" دون "خافَ" في بعض المواضع، مع أنهما بحسب الظاهر كلاهما بمعنى، لكن بلا أدنى شك أن البيان الإلهي أراد الفعل "وَجِل" في هذا النسق، ولم يرد الفعل "خاف"، ولو أراد "خاف" لاستعملها كما استعملها في غير موضع من القرآن؛ لأن القرآن معجز بكل حرف من حروفه، ولا ترادف فيه، إذ إن المترادفات عرفت في لغة البشر، أما في لغة القرآن فلا ترادف، لأن كل كلمة فيه مقصودة لذاتها ضمن سياقها، وكل كلمة في القرآن لها دلالتها الإيحائية ضمن النسق، ولها سِرّها الخاص الذي لا يمكن أن تؤديه غيرها، لذا كان لا بدّ من دراسة تبين لنا هذه الدلالة التي توحيها كل لفظة بذاتها؛ لأن هذا بلا شك سيساعد على فهم كتاب الله واستيعاب آياته، فمن غير المعقول مثلاً أن أفهم معنى الفعل "ألفى" المذكور في القرآن على نحو ما نفهم معنى الفعل "وجد" في لغتنا نحن البشر، بل لا يخفى على كل ذي لُبّ أن بعضنا ينوع بين كلا الفعلين في استعماله ضمن سياق تركيبه على اعتبار أنهما مترادفان. من هنا كان لا بد لكل دارس وباحث حريص على لغة القرآن، وحريص على معرفة أصولها اللغوية واستعمالاتها الدقيقة أن يتتبع مفردات القرآن التي فسرها العلماء بمعانٍ مترادفة ومتقاربة جدًا، ويقوم بدراستها بالرجوع إلى أصولها اللغوية في المعاجم واستعمالات العرب لها، ثم يستوحي دلالتها الإيحائية المقصودة ضمن السياق، ويجدر الإشارة هنا إلى أن هناك من عرّج في دراسته على فروق مشابهة لما ذكرت، لكنه حرص على أن تكون هذه الفروق بين كلمات وردت في القرآن هي في ظاهرها مترادفة[1]، في حين أن دراستي ستتناول الفروق بين أفعال في ظاهرها مترادفة، لكن ليس بالضرورة أن تكون مرادفتها مذكورة في القرآن الكريم، وإنما فسرها العلماء في كتبهم بمعنى

[1] وهو الدكتور فاضل السامرائي عندما تحدث عن الفرق بين الفعلين (جاءَ) و(أتى) الواردين في سورتي النمل والقصص في كتابه لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ص 96-97، وكذا عندما تحدث عن الفرق بين (ألفينا) و(وجدنا) ص 598 – 599، وكذا عند حديثه عن تعاور المفردات في كتابه: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص 109.

مرادف . في ظاهره . لما ورد في القرآن الكريم، أي يفسرون الكلمة بالأخرى التي ترادفها كما هو شأن كتب المعاجم، مما يعسر على القارئ اكتشاف المعنى الدقيق أو سرّ وجود هذه الكلمة دون غيرها من الكلمات التي ترادفها إلا بالرجوع إلى أصولها اللغوية واستعمالاتها في أشعار العرب وخطبهم ومجالسهم، ثم استنتاج المعنى المقصود من خلال النسق القرآني الذي تضمنها. وستكون هذه الدراسة على سبيل التمثيل، لا الاستقصاء؛ لأن الأفعال التي على هذه الشاكلة كثيرة جدًا في كتاب الله، وأسأل الله أن يلهمني الصواب، وأن يهديني سبل الرشاد.

سأتناول بالدراسة والبحث بعض الأمثلة، مقتصرة على الأفعال التي أنتقيها من القرآن؛ لتبيان الدلالة الإيحائية فيها مستعينة بكتب اللغة والمعاجم:

أنشرَ وأحيا:

وردتا في آيتين معناهما المجمل واحد، وهو تمثيل بعث الموتى من قبورهم بإحياء الأرض بعد موتها بعد سَوق الله السحاب إليها لإنزال المطر، غير أنه عبر عن الإحياء مرة بالفعل: "أحييا"، ومرة بالفعل: "أنشرنا".

قال تعالى[1]: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

وقال تعالى[2]: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾.

ما الفرق بين "أحييا" و"أنشرنا"؟ ولمَ عدل البيان الإلهي عن كلمة "أحييا" التي استعملها في الآية السابقة؟ لمَ قال: فأنشرنا به بلدة.. ولم يقل: فأحييا به بلدة؟! ما المعنى الإيحائي للفظة القرآنية في الآيتين؟ مع أنهما بمعنى الإحياء إن أردنا المعنى المجمل للكلمتين؟ من هنا كان لا بد لنا من العودة إلى معاجم اللغة

[1] الزخرف 43/ 11.

[2] فاطر 35/ 9.

ومعرفة الأصل اللغوي للكلمتين للتوصل إلى المعنى اللغوي الدقيق الذي أراده البيان الإلهي في الآيتين.

قال الراغب[1]: «والنَّشْرُ: الكَلَأ اليابسُ، إذا أصابه مطرٌ فَيُنْشَرُ. أي: يَحْيَا، فيخرج منه شيء كهيئة الحَلَمَةِ، وذلك داءٌ للغَنَم، يقال منه: نَشَرَتِ الأرضُ فهي نَاشِرَةٌ »

قال الفيروز أبادي[2]:« ونشرتِ الأرضُ نشورًا: أصابها الربيع فأنبتت .... نَشَرَهُ فَنَشَرَ والكَلأُ يَبِسَ فأصابَهُ مَطَرٌ دُبُرَ الصَّيْفِ فاخْضَرَّ وانْتشارُ الوَرَقِ ».

وقال السمين الحلبي[3]: «والنشر: الكلأ اليابس إذا أمطر حيي... يقال منه: نشرت الأرض، فهي ناشرة».

وقال الزمخشري[4]: « يقال: أنشرَ اللهُ الموتى ونشرهم: إذا بعثهم».

وعلى هذا يمكن أن نفسّر المراد بقوله تعالى: (فأنشرنا) أي: فأحيينا الأرض المجدبة الميتة بظهور النبات والزرع عليها، بدليل قوله تعالى في ختام الآية: (كذلك تُخرجون) أي كما أخرجنا النبات والزرع من باطن الأرض فأصبح ظاهرًا أمام جميع المخلوقات، كذلك ستخرجون من باطن الأرض، وتظهرون يوم النشور.

أما الآية الأخرى، فيبدو أن مراد الله عز وجل من قوله:(فأحيينا) أي: فجعلنا في الأرض حياة للإنبات وظهورًا للزرع، أي هيَّأناها لحياة النبات، لكنه لم يَظهر ويخرج كما في الآية السابقة، ثم ختمها: (كذلك النشور) أي: كما جعلنا في الأرض حياة بعد الموت وهيَّأناها لذلك، كذلك أنتم مهيَّؤون للحياة، ستحيَون بعد الموت، وستبعثون وترجعون إليه جلّ وعلا. ونلاحظ أنه في الآية الثانية ذكر أسباب نزول المطر بما يتناسب مع معنى الفعل "أحيينا" الدال على التهيئة

---

[1] المفردات في غريب القرآن (نشر).

[2] القاموس المحيط (نشر) بتصرف يسير.

[3] عمدة الحفاظ (نشر) 4/ 178.

[4] الكشاف 279/4.

والتكوين، بخلاف الآية الأولى لم يذكر أسباب نزول المطر؛ ليتناسب مع معنى الفعل "فأنشرنا" الدال على السرعة والإنبات. وقال في الآية الأولى: "كذلك تخرجون" استعمل الفعل للدلالة على الحدث، أما في الآية الثانية، فقال: "كذلك النشور" للدلالة على الثبوت، أي إنكم ستتصفون بهذه الصفة وستلازمكم بعد الموت، وهي الإحياء بعد الموت.

وجِلَ وخافَ:

وردتا في القرآن في أحداث قصة واحدة تدلان على حالة نفسية تعتري الإنسان جراء سلوك إيجابي أو سلبي، وترتبطان بقاسم مشترك من جهة المعنى بيد أنهما يحملان بعض الفروق الدلالية التي يقتضيها السياق القرآني، وسنركز هنا على تبيان هذا الفرق الدلالي:

قال تعالى[1]: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾

الوجل هو الخوف بالمعنى العام[2]، أما بالمعنى الدقيق فمعناه، كما قال الراغب[3]: «الوَجَل: استشعار الخوف. يقال: وَجِلَ يَوْجَلُ وَجَلاً، فهو وَجِلٌ»

لِمَ قال سبحانه على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: (وَجِلُون) ولم يقل: "خائفون"، مع أن معنى الوَجَل الخوف؟!! ومع أنه قال في آية أخرى[4]:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾

---

[1] الحجر 15/ 51- 53.

[2] انظر الدر المنثور للسيوطي 8/ 632.

[3] المفردات في غريب القرآن (وجل)، وانظر: تاج العروس (وجل)، ولسان العرب (وجل).

[4] الذاريات 15/ 24- 28.

وقال في آية أخرى[1]: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾

فكيف يكون إبراهيم عليه السلام وَجِلاً تارةً، وخائفًا تارةً أخرى، مع أن أحداث القصة واحدة؟!

يقول العسكري[2] في الفرق بين الوَجَل والخوف: «الخوف خلافُ الطمأنينة، وَجِل الرجلُ يَوْجَلُ وَجَلاً إذا قلق ولم يطمئن. ويُقال: أنا من هذا على "وَجَل"، ومن ذلك على طمأنينة، ولا يُقال: "على خوف" في هذا الموضع .....فليس الوَجَل من الخوف في شيء. و"خافَ" مُتعدٍّ، و"وَجِلَ" غير متعدٍّ، وصيغتاهما مختلفتان أيضًا، وذلك يدل على فرق بينهما في المعنى».

لا شكّ أن القرآن الكريم دائمًا يأسرنا ببلاغته وروعة بيانه، ففي قصة إبراهيم عليه السلام يذكر الوجل تارة، والخوف تارة أخرى؛ لأنه استعمل كل كلمة في المكان اللائق بها،

فاستعمل الوجل في موضع يصف حالة إبراهيم عليه السلام في أول الأمر، وذلك عندما رأى الضيوف بشكل مفاجئ؛ لأنهم جاؤوه في غير وقت الزيارة[3]،ومن دون إذن، ولم يتعرف إليهم، فوَجِل منهم، والوَجَل يكون في القلب من دون أن يظهر أثره على الوجه وعلى الجوارح، فلذلك لن يعرفَ ضيوفه ما يستشعر به إبراهيم عليه السلام تجاههم، ولذلك أخبرهم صراحة: (إنّا منكم وَجِلون) والمقصود هو وأهله[4].

ويرتبطُ الوَجَل مع الشعور بالضعف أمام عظيم وجليل، أو أمام ذي سلطان وقوة، أو أمام أمر عظيم، فإبراهيم عليه السلام شعر بالخوف مع الضعف أمام

---

[1] هود11/ 69- 70.

[2] معجم الفروق اللغوية 227.

[3] انظر التحرير والتنوير 14/ 58.

[4] انظر التحرير والتنوير 14/ 58.

مشهد عظيم لم يعهده من قبل، وهو استعظام أمر المُوجَل منهم، في كونهم دخلوا عليه فجأة بلا استئذان، وهو لا يعرفهم، فأحس بأن لهم قدرات لا يمتلكها غيرهم من البشر، فلذا شعر بخوف مع ضعف أمام قوة خارقة، فاضطرب قلبه.

ومما يدل على أن الوجل شعور بالخوف يرافقه إحساس بالضعف وقلة الحيلة ما ذكره عز وجل في مواضع أخرى من كتابه الكريم في مواطن الإجلال والتعظيم، فقال[1]:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

أي خشعت واضطربت وضعفت استعظامًا لشأنه الجليل وتهيبت منه، «فالوجل إنما نشأ من مَهابةِ وسطوة صفات الجلال» [2].

وقال العسكري[3]:«أي إذا ذكرت عظمة الله وقدرته لم تطمئن قلوبهم إلى ما قدموه من الطاعة، وظنوا أنهم مقصرون، فاضطربوا من ذلك، وقلقوا».

وقال أيضًا[4]: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾

أي: وقلوبهم وَجِلة أَلاَّ يصاحب الإخلاص عملهم، فلا يقبل[5]. أي خوف يرافقه شعور بالضعف أمام عظمة ربهم الذي سيرجعون إليه للحساب يوم القيامة. فالوجل لا يستعمل إلا في مواطن الخوف من قوة قاهرة، قوة لا تغلب. والملاحظ في الآيتين السابقتين أنه لم يقل: "خافت قلوبهم"، وإنما الخوف إذا أسند إلى القلوب سُمّي وجلاً.

أما قوله: "فأوجسَ"، فقد ذكر العلماء أنه بمعنى: "أضمر"[6]، أو «والْإِيجَاسُ هُوَ مِنَ الْهَاجِسِ الَّذِي يَخْطُرُ بِالْبَالِ وَلَيْسَ يتمكن»[1].« قَالَ مُقَاتِلٌ: فَأَوْجَسَ وَقَعَ

---

[1] الأنفال 8/ 2.

[2] انظر تفسير الشعراوي 8/ 4570 بتصرف يسير.

[3] معجم الفروق اللغوية 227.

[4] المؤمنون 23/ 60.

[5] انظر تفسير الشعراوي 16/ 10067.

[6] الكشاف 2/ 410، وعمدة الحفاظ 4/ 286.

فِي قَلْبِهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ، قِيلَ: وَأَصْلُ الْوُجُوسِ الدُّخُولُ، فَكَأَنَّ الْخَوْفَ دَخَلَ عَلَيْهِ». أو أحسّ[2]، أو «الوجْسُ: الصوتُ الخفيّ، والتَّوَجُّس: التّسمّع، والإيجاس: وجود ذلك في النّفس. فالوَجْس قالوا: هو حالة تحصل من النّفس بعد الهاجس، لأنّ الهاجس مبتدأ التّفكير، ثم يكون الواجس الخاطر»[3].

والظاهر أنه أصدر صوتًا خفيًا مشعرًا بالخوف، ولذلك استشعر ضيوفُه خوفَه، فقالوا: "لا تخف". وسبب إتيانه بهذا الأسلوب:(فأوجسَ منهم خيفة) بدلاً من: "فخافَ"، هو ذكره القصة، أو أنه توجس من دون أن يتمكن منه أو يصل إلى حد الخوف[4]، وعرفت ذلك الملائكة من اطلاع الله لهم[5]، والسبب الذي جعل إبراهيم عليه السلام يخاف، لأن الخوف لا يأتي إلا عن أمارة وسبب، وخوفه هنا إنما كان نتيجةَ توقعِ شرٍّ منهم؛ لأنهم امتنعوا عن الأكل، وهذا كان دليلاً عندهم على عدم الطمأنينة والأمن. والشرُّ الذي توقعه هو أن يكونوا مُرسَلين لأمر أنكره الله عليه، أو إلى قومه للعذاب[6]، ونحو ذلك، خاصة أنه وقع في نفسه أنهم ملائكة، بدليل أنهم قالوا: (إنّا أُرسلنا إلى قوم لوط...).

أما عندما لم يذكر قصة الخوف، لأن الغاية من سرد القصة كانت ذكر البِشارة فقط من الملائكة لإبراهيم عليه السلام، فلم يناسب ذكر الخوف واستشعاره به؛ لأنه لم يكن هناك سبب لذلك الخوف، وإنما ذكر المناسب هناك في تلك الآية[7]، وهو دخول ضيوف بشكل مفاجئ عليه، وبلا إذن، فأضمر واستشعر الخوف، مع تعظيمه لهم ولذلك أخبرهم بما استشعر به فقال: "إنا منكم وجلون".

---

(1) البحر المحيط 7/ 356.

(2) عمدة الحفاظ (وجس) 4/ 285.

(3) المفردات في غريب القرآن (وجس).

(4) التحرير والتنوير 23/ 233.

(5) البحر المحيط 9/ 556.

(6) الكشاف 2/ 410.

(7) أي قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ الحجر 15/ 51- 53.

فإبراهيم عليه السلام أضمر منهم الخوف وأحس به؛ لأنه نكِرَهم فلم يعرفهم، لكنه لم يظهر هذا الخوف إلا عندما قدم لهم الطعام وامتنعوا عن الأكل، بدليل أنه سبحانه قال بعد أن ذكر نكرانه لهم: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

وقال بعضهم[1] في قوله تعالى:(قالوا لا تخف): «قالوا له هذه المقالة مع كونه لم يتكلم بما يدل على الخوف بل أوجس ذلك في نفسه، فلعلهم استدلوا على خوفه بأمارات، كظهور أثره على وجهه، أو قالوه له بعد ما قال عقب ما أوجس في نفسه من الخيفة قولاً يدل على الخوف، كما في قوله في سورة الحجر: "قال إنا منكم وجلون"، ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما هنالك».

وأرى أن القول الثاني فيه نظر؛ لأن الوجل غير الخوف، فكيف يقول في آية: "إنا منكم وجلون" ليدل على الخوف الذي اعتراه، وفي آية أخرى يقول: "إنا منكم خائفون"، مع أن الخوف تظهر آثاره على ملامح الوجه[2]؟!!

أَسْحَتَ وأَهْلَكَ:

ورد الفعل يُسْحِتُ في قوله تعالى[3]: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾

قال ابن دريد[4]: «يُقَال: سحت الشَّيْء وأسحته إِذا استأصله هَلَاكًا».

وذكر الزبيدي[5]: « وسَحَتَ الشَّحْمَ عن اللَّحْمِ ، كمَنَعَ: قَشَرَهُ، مثل سَحَفَهُ.

وسَحَتَ الشَّيْءَ، يَسْحَتُه، سَحْتاً: قَشرَه قَلِيلاً قَلِيلاً، كذا في اللسان؛ وفي التَّنْزِيل: "فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ"، أَي: يَقْشِرَكُمْ».

---

[1] فتح القدير للشوكاني 2/ 578- 579

[2] ومن آثاره الشُّحوب وقلة المأكل والتنعّم، لسان العرب (شحب)، وانظر: التحرير والتنوير 11/ 260

[3] طه 20/ 61

[4] جمهرة اللغة (سحت)

[5] تاج العروس (سحت)

وقال ابن منظور[1]: «واشتقاقُه مِنَ السَّحْتِ، وَهُوَ الإهلاكُ والاسْتئصال».

وقال السمين الحلبي[2]:«وأصل السحت قشر الشيء باستئصال، قال تعالى: "فيسحتكم بعذابٍ"... أي يهلككم هلاك استئصال».

استعمل البيان الإلهي: "فيسحتكم"، ولم يستعمل: "فيستأصلكم" ليدل على الهلاك إلى جانب الاستئصال، وليس مطلق الهلاك فحسب، بل الهلاك التدريجي؛ ليكون العذاب أنكى وأشد إيلامًا.

سَلَقَ وآذى:

قال تعالى[3]:﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾

وقال تعالى[4]:﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

في الآية الأولى استعمل البيان الإلهي كلمة: "سلقوكم"، وتعني: "آذوكم[5]".

وفي الآية الثانية استعمل كلمة: "أذى"، وكلاهما مصدره اللسان، لكن، لِمَ عبر في الآية الأولى بكلمة: "سلقوكم"؟!، ما الجديد الذي أفادته هذه الكلمة؟ استعمل في الآية الأولى كلمة سلقوكم لتكون أقوى في التعبير عن الأذى من آذوكم، فسلقوكم هنا تعني المبالغة في الأذى؛ لأن سلقوكم مشتقة من قولهم[6]:« لسان مِسْلَقٌ: حديدٌ ذَلِقٌ. وَلِسَانٌ مِسْلَق وسَلَّاق: حَدِيدٌ». ففي هذه اللفظة معنى الحِدّة

---

(1) لسان العرب (سحت)

(2) عمدة الحفاظ (سحت) 2/ 176- 177، وانظر المفردات في غريب القرآن (سحت)

(3) الأحزاب 33/ 18- 19

(4) آل عمران 3/ 186

(5) الصحاح (سلق)

(6) لسان العرب (سلق)

في الأذى، بل زادها حدة وقوة بقوله: "بألسنة حداد"، أي أن الأذى بلغ غايته ومنتهاه.

وفي اللسان[1]: «هُوَ شِدَّةُ الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ..... أَي بالَغُوا فِيكُمْ بِالْكَلَامِ وخاصَمُوكم فِي الْغَنِيمَةِ أَشَدَّ مخاصمةٍ وأَبْلَغَها»، لأنها من قولهم[2]: «خَطِيب سَلَّاق: بَلِيغٌ فِي الخُطبة». أي أن الأذى المعبر عنه بكلمة "سلقوكم" ليس للدلالة على المبالغة فحسب، بل للدلالة أيضًا على البلاغة في الخطاب الذي يُسكت الخصم ويعجزه عن الرد. وفيه أيضًا[3]: «أَي خَاطَبُوكُمْ أَشَدَّ مُخاطبة».

ومن الملاحظ أيضًا أن كل اشتقاقات هذه الكلمة تدل على الشدة والقوة والحدّة، فهي أيضًا مشتقة من: «سَلَقَ البَيْضَ والبَقل وغيرَه بِالنَّارِ: أَغلاه»[4]، وكذا من: «سلَقَه بالسَّوْط ومَلَقه أَي نَزَعَ جِلْدَهُ»[5]. ومنَ «السَّلْقُ: شِدَّةُ الصَّوْت»[6]، وهذا ما دفع الفراء إلى التعبير عن هذه الشدة بقوله[7]:« مَعْنَاهُ عَضُّوكم، يَقُولُ: آذَوكم بِالْكَلَامِ فِي الأَمر بأَلْسِنة سَلِيطة ذَرِبَة»

بل إن من معاني السَّلْق التقشيرُ، وفيه معنى الشدة، أي شدة النزع، قال الزَّبيدي[8]: «وسلقَ اللحْمَ عن العَظْم أي: الْتَحاه ونَحّاهُ عنه».

إن ما نقلناه عن علماء اللغة يجعلنا نُجمع على أن في معنى "سلقوكم" دلالة على الشدة والقوة والمبالغة في الأذى والإيلام بقوة المحاجة والخطاب. وأن قولهم: "سلقه بالكلام"، أي آذاه بكلام غليظ يؤثر في النفس، فكما أن الماء الحار يدخل إلى باطن البيض فيُذهب فَجاجته، كذلك السلق بالكلام يتغلغل هذا الكلام

---

(1) لسان العرب (سلق).

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) لسان العرب (سلق).

(5) نفسه.

(6) نفسه.

(7) نفسه.

(8) تاج العروس (سلق).

إلى باطن النفس، فيؤثر فيها غاية التأثير، لذا كان من اشتقاقات الكلمة: "السالقة"، وهي التي ترفع صوتها عند المصيبة[1]. أي أن السلْقَ صوتٌ قويٌّ حادٌّ يؤثر في النفس.

وفي عمدة الحفاظ[2]: «قيل: معنى سلقوكم: جهروا فيكم بالسوء من القول».

وكلمة "سلق" أنسب لسياق الآية القرآنية الواردة فيها من كلمة "أذى"؛ لأن هناك غنيمة ومصلحة مادية، فتحتاج إلى مبالغة في التعبير، أما الآية الأخرى فلا يلزم سياقها استعمال كلمة "سلق"، فالله عز وجل يخاطب في هذه الآية المؤمنين، ويخبرهم بأنهم سيسمعون من المشركين أنواعًا مختلفة من أذى اللسان، هذا الأذى قد يكون من النوع الخفيف وقد يكون من النوع الثقيل، فأراد التعبير عن الأذى اللساني بأشكاله كافةً، الذي قد يتعرض له المؤمن من غير المؤمنين، لذا كان الأنسب أن يستعمل كلمة الأذى وليس السَّلْق.

يَنْسِلُون ويُسْرِعون:

قال تعالى[3]: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾

وقال تعالى[4]: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾

فسّر العلماء معنى ينسلون في الآية الكريمة بمعنى: يسرعون، لكن لو تساءلنا: ما الفرق الدلالي بين كلمة يسرعون وينسلون، ولمَ اختار البيان الإلهي هنا مادة "نسل" دون "سرع"، مع أنه في موضع آخر أتى بمادة "سرع"، وليس نسل، عندما قال عز من قائل[5]: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

---

(1) تاج العروس (سلق).

(2) عمدة الحفاظ (سلق) 2/ 213.

(3) الأنبياء 21/ 96.

(4) يس 36/ 51.

(5) آل عمران 3/ 133.

إن مادة "سَرَعَ" تطلق على فعل البشر وعلى فعل الذات الإلهية، كقوله تعالى:﴿وهو أسرع الحاسبين﴾[1]، ﴿والله سريع الحساب﴾[2]، وهي ضد البطء، ويستعمل في الأجسام أيضًا فيما يخص البشر[3]، ومنه الآية الكريمة السابقة:﴿وسارعوا...﴾.

أما "ينسلون"، فهي تدل على السرعة مع الظهور والبروز بعد اختفاء، كما أنها تطلق على أفعال الخلق فحسب، ومادتها من "نَسَلَ"، وهي الخلق والولد. والخلقُ يأتون بعد خفاء، وكذا دل استعمال البيان الإلهي لكلمة "ينسلون" في وصف فعل الخَلْق، وهم يأجوج ومأجوج، عندما ظهروا بعد اختفاء دام سنوات. فينسلونَ هنا أي: يُسرعون بعد ظهورهم وبروزهم، والنسل فيه دلالة على الخروج من أصل أو مقر، وكذا أفاد التعبير الإلهي في الآية الأخرى عندما تحدث عن بعث البشر من قبورهم، وهو ظهور بعد اختفاء فقال: "ينسلون"، أي يخرجون من قبورهم . أصولهم من التراب، وبعد أن كانوا ترابًا . مسرعين.

ورأى الشعراوي[4] رحمه الله أنها من: «انسلَّ القماش؛ لأن القماش مُكوَّن من سُدى ولُحمة، يعني خيوط طولية وخيوط عرضية، تتداخل فتكوِّن القماش، فنَسْلُ القماش أن تنزع خيوط العرض وتفكّ تداخلها مع خيوط الطول، ولا تُنزع خيوط الطول، لأنها دائماً مُحكَمة بثَنْي السُّدَى على اللحمة». ولا أرى أن هذا الأصل ينطبق على دلالة الكلمة في الآيتين الكريمتين، فربما ينطبق على بعض اشتقاقات "نَسَلَ" في سياقات أخرى.

---

[1] الأنعام 6/ 62.

[2] البقرة 2/ 202.

[3] عمدة الحفاظ (سرع) 2/ 192.

[4] تفسير الشعراوي 16/ 9651- 9652.

زَيَّلَ وامتازَ:

قال تعالى[1]: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾

وقال تعالى[2]: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

وقال تعالى[3]: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾

لماذا قال تعالى: "فزيَّلْنا"، "لو تزيَّلوا"، وفي آية أخرى: "وامتازوا"؟

لأن "زيَّلْنا" و "تزيلوا" بمعنى: فرّقنا، وتفرقوا. وفي عمدة الحفاظ[4]:« قوله تعالى: "لو تزيلوا" أي لو تميّزوا، من قولهم: زلته أزيله، أي ميّزته. ومثله: "فزيلنا بينهم" أي ميزنا بين أهل الأديان وشركائهم وفصلناهم».

والتفرقة هنا تكون بين صنفين، وهي فصل، أو إبعاد المشركين عن شركائهم، من دون نقلهم إلى مكان آخر، وإنما مجرد الفصل.

أما قوله تعالى: "امتازوا" فهي للتفريق بين صنفين، أحدهما مميز عن الآخر، وفي اللسان[5]: «وَيُقَالُ: امْتاز القومُ إِذا تنحَّى عِصابَةٌ مِنْهُمْ نَاحِيَة»، وفيه عن ابن الأعرابي[6]: «مازَ الرجلُ إِذا انْتَقَلَ مِنْ مَكَانٍ إِلى مَكَانٍ». ففي امتازَ معنى التنحي عن قوم، والانتقال الى مكان آخر بعيد عنهم، وفيه معنى تميز وأفضلية صنف عن آخر.

---

(1) يونس 10/ 28.

(2) الفتح 48/ 25.

(3) يس 36/ 59.

(4) عمدة الحفاظ (زيل) 2/ 157.

(5) لسان العرب (ميز).

(6) نفسه (ميز).

ففي قوله تعالى: "وامتازوا اليوم أيُّها المجرمون" أراد جلّ وعلا أن يميز الكافرين عن المؤمنين؛ لأن مصير هؤلاء غير مصير هؤلاء، فالكافرون سيتنحون عن المؤمنين ويدخلون النار، أما المؤمنون فمكانهم مختلف تمامًا، سيكون مصيرهم ومثواهم الجنة، فهذا صنف، وذاك صنف آخر، ولكل منهم مكانٌ يليق بعمله، لذا لا بدّ من استعمال كلمة تدل دلالة إيحائية على هذا المعنى الضمني الذي يختلف عن معنى التزايل.

قال القرطبي[1]: «وَقِيلَ: لَوْ زَالَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِ الْكُفَّارِ لَعُذِّبَ الْكُفَّارُ بِالسَّيْفِ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ. وَلَكِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ بِالْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْكُفَّارِ».

فالتزايل يعني الافتراق والانفصال والتباعد، من دون تغير في المكان.

دَخَرَ وذَلَّ وصَغُرَ:

قال تعالى[2]:﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾

وقال تعالى[3]: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

وقال تعالى[4]: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾

وقال تعالى[5]: ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾

المعنى العام للمشتق "داخر" أي: ذليل صاغر[1]، وهنا لا بد للعربي أن يقف متسائلاً: لمَ عبّر البيان الإلهي بهذه الكلمة بالذات دونًا عن مرادفتها "أذلاء"؟ لا

---

[1] تفسير القرطبي 16/ 286.

[2] النمل 27/ 87.

[3] غافر 40/ 60.

[4] النحل 16/ 48.

[5] الصافات 37/ 15 – 18.

بد أن هناك فرقًا دقيقًا بينهما، بحيث لا تصلح في هذا الموضع سوى هذه الكلمة بالذات.

وإذا بحثنا في كتب اللغة وجدنا أن الفعل "دَخَرَ" يأتي مطاوعًا، يقول السمين الحلبي[2] في تفسير قوله تعالى:" وهم داخرون": « أي: أذلاء، يُقال: أَدْخَرْتُه فدَخَر، أي: أذللتُه فذلَّ»، لكن لا يقال: أذللتُه على سبيل المطاوعة، كأدْخرتُه، وإنما يُقال: أذللتُه: أي وجدته ذليلاً[3]؛ لأن الفعل "أدخر" لا يستعمل إلا لفعل الذات الإلهية[4]، لذلك يأتي هذا الفعل للمطاوعة؛ لأن العبد الذي أدخره الله سيطاوعه ويدخر، أي سيفعل ما يؤمر شاء أم أبى، من غير إرادة منه، حتى إن الكافر الذي يسجد لغير الله سيدخر ويسجد ظله لله[5]

فالفعل "دخر" فيه معنى الانقياد تعظيمًا لأمر الله عز وجل، ولأن الفعل "دَخَرَ" لا يصدر إلا عن فعل الذات الإلهية[6]، ويكون للجمادات أيضًا . دلَّ على ذلك قوله في الآية: "من شيء"[7]، وقال الزمخشري[8]: «والأجرام في أنفسها داخِرَة أيضاً، صاغرة منقادة لأفعال الله فيها، لا تمتنع» . وفي قهر المتكبرين.

---

[1] انظر: تاج العروس (دخر)، والمفردات في غريب القرآن (دخر)، وعمدة الحفاظ (دخر)، ولسان العرب (دخر).

[2] عمدة الحفاظ (دخر) 2/ 6.

[3] المخصص 3/ 402.

[4] يُقال: أدْخره الله. انظر تفسير القرطبي 10/ 111، وفي التحرير والتنوير 14/ 170: « أي داخرون لعظمة الله تعالى».

[5] انظر ما قاله القرطبي في تفسيره 4/ 127 عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

[6] تفسير القرطبي 10/ 111، والتحرير والتنوير 14/ 170.

[7] انظر الصفحة السابقة قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.

[8] تفسير الكشاف 2/ 609.

أما الفعل "ذلّ" ففيه معنى الانقياد قهرًا لقوة أعلى، أو حكم المُنقاد[1]، وهو في اللغة الخضوع واللِّين والانقياد[2]، لكن لا يستعمل إلا للإنسان، ويكون الإذلال للمتكبر، وغير المتكبر. للمستحق، وغير المستحق. قال العسكري[3]: «وإذلال أحدنا لغيره غلبته له على وجه يظهر ويشتهر، ألا ترى أنه إذا غلبه في خلوة لم يقل إنه أذله؟، وقد قيل: الذلة: الضعف عن المقاومة، وأما الذليل، فانه ينقاد على مشقة».

بقي أن نحلّلَ ونكتشف الفرق الدقيق بين الدَّخْر والصَّغار، فكما لاحظنا أن بعض المفسرين فسروا الدَّخْرَ بالصَّغار أيضًا[4]، لكن لِمَ لمْ يختر الله عز وجل الصَّغار بدلاً من الدَّخْر؟

الصَّغار مشتق من الصِّغر، ويراد به الضآلة والحقارة بعد عزة وشرف[5]. وفي الصغار معنى الرضا بالمنزلة الدنيّة[6].

ولا يكون إلا عقوبة، نحو قوله تعالى[7]:﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾

وقوله[8]: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾

وقوله[9]: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾

---

(1) معجم الفروق اللغوية 32.

(2) مقاييس اللغة (ذلل).

(3) معجم الفروق اللغوية 32.

(4) وانظر تفسير الطبري 17/ 218، تفسير القرطبي 10/ 111.

(5) التحرير والتنوير 8/ 45.

(6) المفردات في غريب القرآن (صغر).

(7) الأنعام 6/ 124.

(8) الأعراف 7/ 13.

(9) يوسف 12/ 32.

أما الدَّخْرُ هو انقياد طوعًا أو كرهًا، وقد يكون عقوبة، وقد لا يكون، ولكن يكون نتيجة قوة خارجية قسرية، ويشمل كل ما في الكون حتى الجماد، ولأنه قوة قسرية خارجية تشمل كل ما في الكون لا يتصف بفعل الدَّخْر إلا الله عز وجل خالق الكون ومسيِّرُه.

خَرَصَ وكَذَبَ:

قال تعالى[1]: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾

وقال[2]: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

وقال[3]: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

وقال[4]: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

فسّر المفسرون وأهل اللغة[5] هنا مادة "الخَرْص" في الآيات الكريمة بمعنى: الكذب، لكن ما الفرق بينها وبين الكذب؟، وما الذي ميز مادة "خَرَصَ" عن مادة "كَذَبَ" في الآيات الكريمة حتى اختارها الله عز وجل وقصدها دون مادة "كَذَبَ"؟، مع أنها بحسب الظاهر تتضمن معنى الكذب بذاته؟!

الكَذِبُ هو نقل خلاف الواقع والحقيقة عمدًا وقصدًا، أما الخَرْصُ فهو تكلم المرء بما لا يَعلَمُ، يعني عن غير يقين وتبيُّن وتحقُّق، يتكلم بما يتوقع ويظن ويخمن، من دون علم، ويسمى قوله هذا: "خَرْصٌ" حتى وإن طابق الواقع، فالخَرْصُ قد يطابق الواقع وقد يخالفه، بخلاف الكَذِب[6].

---

(1) الذاريات 51/ 10- 11.

(2) الأنعام 6/ 116.

(3) يونس 10/ 66.

(4) الزخرف 43/ 20.

(5) انظر: تهذيب اللغة (خرص)، والكشاف 4/ 397، وتفسير القرطبي 17/ 33، وعمدة الحفاظ (خرص) 1/ 497،وتاج العروس (خرص).

(6) المفردات في غريب القرآن (خرص).

والكذب يكون بالقول والفعل، أما الخرص فلا يكون إلا بالقول[1].

وقال العسكري[2]: «الفرق بين الخَرْص والكَذِب: أن الخرص هو الحَزْرُ، وليس من الكذب في شيء، والخرص ما يُحزر من الشيء، يقال كم خرص نخلُك؟، أي كم يجيء من ثمرته، وإنما استعمل الخرص في موضع الكذب؛ لأن الخرص يجري على غير تحقيق، فشبه بالكذب، واستعمل في موضعه».

ولاحظ أن الخَرْصَ ورد في كل الآيات التي ذكرناها سابقًا في سياق الظن والجهل، لأنه لا يُستعمل إلا في تلك السياقات، فوصف الخرّاصون في الآية الأولى بأنهم في غَمْرة، أي:جهل وضلالة وغفلة[3]، وفي الآيات الأخرى وصفهم بأنهم يتبعون الظنّ، وبأنهم لا علمَ لديهم. أما الكذب، فيستعمل في سياقات العَمْد والقَصْد والعِلْم، فالكاذب يقصد مخالفة الواقع، وهو يعلم الحقيقة. وقد وردت آيات كثيرة في القرآن ذُكر فيها مادة: "كَذَبَ"، لن أذكر منها إلا ما يدل دلالة صريحة على ما ذكرت من دلالة الكذب، وهي قوله تعالى[4]: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾. أي أنهم كذبوا على عِلْم وبيّنة، لا عن ظنّ وتخمين، ولذلك استحق المكذِّب العقاب، قال تعالى[5]: ﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾.

حصحص وانكشفَ:

قال تعالى[6]:﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾

قال الراغب[1]: «وضح، وذلك بانكشاف ما يغمره».

---

[1] نفسه (كذب).

[2] معجم الفروق اللغوية 214.

[3] انظر: تاج العروس (غمر)، ولسان العرب (غمر).

[4] فاطر 35/ 25.

[5] ص 38/ 14.

[6] يوسف 12/ 51.

وقال القرطبي[2]: «" حَصْحَصَ الْحَقُّ" أَيْ تَبَيَّنَ وَظَهَرَ، وَأَصْلُهُ حَصَصَ، فَقِيلَ: حَصْحَصَ، كَمَا قَالَ: كُبْكِبُوا فِي كَبَبُوا، وَكَفْكَفَ فِي كَفَف».

في حصحص معنى ظهور الشيء وانكشافه، بعد التحري والتفكر والبحث، أي برز وظهر وبان ووضح بشكل مُبالغ فيه، أي إلى حدّ لم يعد هناك مجال لأي زَيغ أو إيهام أو إنكار أو كذب أو مراوغة، إلى حدّ لم يعد للباطل مكان، ولا باستطاعته التسلل من سَمِّ خِياط، لأن الحقّ بلَغَ من الوضوح والظهور والانكشاف مبلغَه حتى ثبَتَ واستقر[3].

وما كان له أن يظهر وينكشف بهذه الصورة لولا السعي في تحريكه والتنقيب عنه لإجلائه أمام أعين الجميع، فبانَ الحقُّ بعد كتمانه، أو بانت حصة الحقِّ من حصة الباطل بطريقة لا يمكن أن يدخلها ريب، أي انكشف ما يغمر الحق من باطل مُزيّف بطريقة مؤكدة لا يختلف فيها اثنان، كل هذه المعاني نستشفها مما ذكرته كتب اللغة[4].

أما الظهور، فلا يدل على شيء ظهر وانكشف بعد كتمان؛ «لأن ظهور الشيء أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى، ثم استعمل في كل بارز مبصَر بالبصر والبصيرة»[5].

قال العسكري[6]: « الظهور يكون بقصد وبغير قصد، تقول: "استترَ فلانٌ ثم ظهر"، ويدل هذا على قصده للظهور، ويقال: "ظهرَ أمرُ فلان"، وإن لم يقصد لذلك. فأما قوله تعالى: " ظهرَ الفسادُ في البر والبحر "، فمعنى ذلك الحدوث، وكذلك قولك: ظهرتْ في وجهه حمرةٌ، أي حدثت، ولم يُعْنَ أنها كانت فيه

---

[1] المفردات في غريب القرآن (حص) .

[2] تفسير القرطبي 9/ 208.

[3] انظر تهذيب اللغة (حص) .

[4] انظر: تهذيب اللغة (حص)، والمفردات في غريب القرآن (حص)، ولسان العرب (حصص)، وتاج العروس (حصص).

[5] المفردات في غريب القرآن (ظهر).

[6] معجم الفروق اللغوية ص 343 – 344.

فظهرت». وفيه[1]: «والبُدُوّ ما يكون بغير قصد، تقول: بدا البرقُ، وبدا الصبحُ، وبدتِ الشمسُ، وبدا لي في الشيء؛ لأنك لم تقصد للبدو، وقيل في هذا: "بُدُوّ"، وفي الاول: "بَدْء"، وبين المعنيين فرقٌ، والأصل واحد».

ومثله البينونة، كالبدو؛ لأنها ظاهرة بغير قصد واضحة، ومنه سُمّيت البيّنة، وهي «الدلالة الواضحة عقلية كانت أم حسيةً»[2]، ومنه أيضًا سُمّي الكلام بيانًا؛ «لكشفه عن المعنى المقصود إظهارُه نحو: "هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ"»[3].

وكذا كلمة "كشفَ" لا تعطي الدلالة التي تعطيها كلمة "حصحصَ"؛ لأن أصل الكشف هو إزالة الغطاء عن الشيء ونحوه، وأصله في الاستعمال للأشياء المحسوسة المادية، ويستعار للمعاني، نحو قوله تعالى[4]:﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍ﴾. لكنه لا يصح للتعبير عن بروز شيء بعد جهد وتفكّر، وتدل على معرفتك بأن الشيء مرادٌ ظهوره؛ لأنه مختفٍ، ولا يحتاج منك إلا إلى إزالة ما يحجبه، أما في الحصحصة، فهي تعني أن الشيء انكشف من دون علم مسبق بخفائه وتوريته.

التَقَمَ وابتَلَعَ:

يجدر بنا في هذا البحث أن نقف وقفة نتبين من خلالها الدلالة الإيحائية للفعل: "التقَمَ" والفرق بينها وبين "ابتلعَ". وقد ورد فعل "التقمَ" في قوله تعالى عن يونس عليه السلام[5]:﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾. فسّر العلماء معنى: "التقمه" أي: ابتلعَه[6]. التقمَ على وزن افتعلَ من اللَّقْم، أي اتخذه أو جعله لُقمة. لكن لِمَ اختار

---

[1] نفسه ص 344.

[2] عمدة الحفاظ (بين) 1/ 251.

[3] المفردات في غريب القرآن (بين).

[4] الأنبياء 21/ 84.

[5] الصافات 37/ 142

[6] انظر: تفسير الطبري 21/ 107، ولسان العرب (لقم)

الله عز وجلّ "التَقَمَ" دونَ "ابتَلَعَ"؟. قال الراغب[1]: «ويقال لطرف الطريق : اللَّقَمُ».

وقال ابن منظور[2]: «اللَّقْمُ: سُرعة الأَكل والمُبادرةُ إِليه... ولَقِمْت اللُّقْمةَ أَلْقَمُها لَقْماً إِذا أَخَذْتَها بِفِيك... والْتَقَمْت اللُّقْمةَ أَلْتَقِمُها الْتِقاماً إِذا ابْتَلَعْتها فِي مُهْلة».

بعد النظر فيما قاله علماء اللغة في معنى اللَّقْم والالتقام نستنتج أن معنى قوله تعالى: "فالتقمه"، أي أخذه بفيه بسرعة، ولم يقل: "فابتلعه"؛ لأن الفم هو الطريق إلى المعدة، وهو لم يكن في فمه حتى يبتلعه؛ لأن البلع إنما يكون في إنزال الطعام من البلعوم إلى المعدة من دون مضغ، فينبغي أن يلتقم الحوت الطعام أولاً بواسطة فمه حتى يبتلعه، فأراد الله عز وجل أن يصور مشهد التقام الحوت ليونس عليه السلام بسرعة وخِفّة عالية، ثم ابتلاعه اللقمة في مهلة؛ لأنه ليس له أسنان[3]، ولأن هذه اللقمة كبيرة وغير معتادة بالمقارنة مع نوعية الطعام الذي يأكله عادة هذا الحوت الضخم[4]،كل هذه المعاني تدل عليها كلمة: "فالتقمه" سبحانَ الله!.

ثم بيّن الله عز وجل أن الحوت ابتلعَ يونسَ عليه السلام عندما قال عز من قائل[5]: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فقال: "في بطنِه". وفي هذا دلالةٌ صريحةٌ على أنه ابتلعَه، وصار يونس عليه السلام في بطن الحوت.

أما ما قاله الدكتور زغلول النجار[6] في معنى قوله تعالى: "فالتقمه الحوت"، أي بقي لُقمةً في فمه لا يستطيع أن يبلعَها ولم يلفظْها مباشرة، فهذا الكلام فيه نظر،

---

(1) المفردات في غريب القرآن (لقم)

(2) لسان العرب (لقم)

(3) التحرير والتنوير 23/ 176

(4) لأنه يتغذى على العوالق والقشريات، انظر: https://www.facebook.com/pg/quran.miracles.allah.akbar/posts/

(5) الصافات 37/ 143- 144

(6) انظر: http://www.sweettearss.com/vb/showthread.php?p=190467 https://www.youtube.com/watch?v=qd-zgbkV2iE

لما رأينا من تفسير علماء اللغة من أن معنى التقمّه: ابتلعَه، فهذا ينافي ما قال، ولقوله تعالى:"... للبث في بطنه..." وما فيها من دلالة قاطعة على أن الحوت ابتلع يونس عليه السلام، وصار في بطنه. وأما قول الدكتور زغلول[1]: «البطن في اللغة تُطلق على المكان الواسع .. فمعدة الحوت و فمه و رئتيه (بطن) .. كما نقول: "بطن مكة و بطن الوادي"». فهذا مما لم أقف عليه عند علماء اللغة[2].

خاتمة:

بعد هذه الدراسة يتبين لنا مدى حاجة مكتبتنا العربية عامة واللغوية خاصة إلى فهم واستيعاب مثل هذه الفروق الدقيقة، التي تبدو للقارئ أول وهلة أنها من المترادفات التي تفيد المعنى ذاته، وقد يغفل عنه أن لا مترادفات في القرآن – بل لا مترادفات في اللغة عامة، وإنما هي تقارب دلالي، لأن اللغة العربية هي لغة القرآن التي نزل بلسانها، فما يمتنع وروده في القرآن يمتنع بالضرورة وروده في اللغة العربية – ويغفل عن فكرة أن الكلمة التي تصلح في هذه الآية قد لا تصلح في غيرها، وإن دلّت على المعنى ذاته بحسب الظاهر، فهذه الدراسة المتواضعة التي هي جهد المقلّ، ونموذج مصغر لأمثلة "أفعال" كثيرة في القرآن فسّرها العلماء بمعانٍ مرادفة، قمتُ بدراستها وعرضها على كتب اللغة والتفسير لاستبيان دلالتها الإيحائية ضمن النسق القرآني، وما توصلت إليه هو اجتهاد مني للتوصل إلى المعنى اللغوي الدقيق، فليس لمثلي أن يقبض على المعنى الدقيق المراد، وإنما نحن نجتهد بكل ما لدينا من إمكانيات، وما بين أيدينا من كتب ومعاجم تساعدنا على معرفة الأصول اللغوية للكلمات حتى نحاول تلمس الفروق المعنوية الدقيقة، فمنا الجَهْد، وعلى الله التُّكلان.

---

[1] انظر:

https://www.facebook.com/pg/quran.miracles.allah.akbar/posts/

[2] انظر: المفردات في غريب القرآن (بطن)، ولسان العرب (بطن)، وفيه:« البَطْنُ مِنَ الإنسان وسائِر الْحَيَوَانِ: معروفٌ خِلَافَ الظَّهْر»

وقد لاحظنا من خلال هذه الدراسة أنه لم يتفق فعلان متقاربا الدلالة على معنى واحد، وإنما كان لا بد من اختلاف بينهما بالمعنى ولو يسير، فنسَلَ تختلف عن سرعَ، ونشرَ تختلف عن أحيا، وزيّلَ تختلف عن امتاز، وخاف تختلف عن وَجِل... وغيرها مما استمتعنا بدراسته واستشفاف معانيه الإعجازية التي أكسبت اللغة العربية مذاقًا خاصًا.

المصادر والمراجع

البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ .

بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ط2، شركة العاتك للنشر، القاهرة، مصر، 1427هـ، 2006 م.

تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

التحرير والتنوير، ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

تفسير الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ – 2000 م

تفسير القرطبي– الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ – 1964 م.

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

جمهرة اللغة، محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مركز هجر للبحوث، القاهرة، 1424هـ ، 2003م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ – 1987م.

عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 هـ – 1996م.

فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني اليمني، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1414هـ.

القاموس المحيط، للفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ - 1993م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ.

لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ط3، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 1423 هـ - 2003 م

المخصص، ابن سيده، تحقيق خليل إبراهيم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ 1996م.

معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، 1412هـ.

معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي،ط1، دار القلم، دمشق، 1412هـ.

مراجع من شبكة المعلومات الدولية:

https://www.facebook.com/pg/quran.miracles.allah.akbar/posts/

http://www.sweettearss.com/vb/showthread.php?p=190467

https://www.youtube.com/watch?v=qd-zgbkV2iE